

المرأة فجاء ضوء نظريات

التحليل النفسي*

جوزيت زوين

ترجمة: د. فؤاد شاهين

الكلام عن الحياة الجنسية عند المرأة في الفكر الحديث لا بد ان يفترض العودة مباشرة الى المقولات الفرويدية. تلك العودة، وان بقيت مهمة على الصعيد العملي التحليلي، فهي، لا شك، تطرح مشكلات عدة وعلى الأخص من زاوية التأويل (العيادي) والمفهومية النظرية، او من زاوية، مركزها في الافكار الراهنة. وما تجدر الاشارة اليه في البدء، والذي بدونه لا يمكننا ادراك فرادة التحليلات الفرويدية، هو أنه عندما يبدو موضوع الفلسفة وعلم النفس كموضوع للمعرفة، للفعل او للوعي، فإن موضوع اللاوعي لا يكون إلا مجرد نتيجة؛ نتيجة شيء ما لا سلطة له عليه؛ إنه موضوع لا يمكن ضبطه، وهو مجزأ من حيث بنيته، بين ما يقوله والموقع الذي يعلن منه هذا الموضوع. إننا نلاقيه في الحياة العامة، أثناء زلة اللسان مثلاً، أو في تحوّل الحلم، أو في عذاب عرّضي معين، أو حتى في الضحك إثر النكات.

لكن هذا الموضوع له خصوصيته: وهي كونه مشحوناً جنسياً، أي أنه نتيجة لتصور لا واعٍ لنفسه، هذا التصور يولد من ظلمة الكبت الاصيلي، وقد يبرز أحياناً من خلال ستار هواماته، وهو لا ينفك يوقظ في الموضوع أعمق الاصول وأكثرها إبهاماً لرغبته، حتى ولو كانت حديثة او شفافة.

هكذا فإن فرويد يقوم بانقلاب يززع الموضوع الموحد القائم، موضوع المعرفة والقدرة. ويتبع هذا الانقلاب انقلاب آخر: وهو كون هذا الموضوع مشحوناً جنسياً. ولكن بنظر ماذا؟ على ضوء التصور بعامة، تصور بدنٍ معين وعضو جنسي معين بشكل خاص: إن البدن يحتوي على أعضاء لها وظائف.

* وضع المقال أصلاً بالفرنسية، وتولى نقله الى العربية الدكتور فؤاد شاهين.

اننا، على ضوء تطور الصبي الصغير، سوف نحاول استعراض التطور الجنسي للبنات الصغيرة. وهنا تجدر الملاحظة التي يشير إليها فرويد بنفسه في كتابه «الحياة الجنسية» (La vie sexuelle): «ان ظروفًا خارجية وداخلية غير ملائمة جعلت المعلومات التي سوف أذكرها تدور بشكل أساسي حول تطور جنس واحد، هو جنس الذكر». هل علينا ان نمزو هذا الغياب الى كبت معرفي داخل النظرية؟ أو الى كبت فرويد نفسه؟ أو الى هيمنة جنس يريد ان يلفت الانتباه^(١)؟ أو الى الظروف الإجتماعية - التاريخية الخارجية؟ (نعني هنا تاريخ مدينة الأنس الذي ورد في الغناء فيما بعد: «ليالي الأنس في فيينا»).

تبقى الإشارة الى دراسات معاصرة لدراسات فرويد، أجراها في عامي ١٩٢٣ و١٩٢٧ كل من هورني K. Horney وجونس E. Jones، فهي تعيد نقاش المسألة من أجل إبراز بعض الخصوصية في الحياة الجنسية الانثوية. بينما هناك دراسات حديثة، يقودها لكان J. Lacan، تعيد صياغة المسائل انطلاقاً من المقولات الفرويدية. وهو ما سوف نعود اليه في ما بعد.

فرويد: الجنس الواحد

في كتابه «ثلاث مقالات حول النظرية الجنسية»^(٢) يؤكد فرويد على الاختلاف الاساسي بين الحياة الجنسية للولد والحياة الجنسية للراشد. وهو يعتبر ان عند الولد تنظيمات ما قبل تناسلية، فمية وشرجية، حيث لم تظهر بعد أولوية المناطق التناسلية.

التنظيم التناسلي الطفلي: المرحلة القضيبية

يشير فرويد في عام ١٩٢٣ في «التنظيم التناسلي الطفلي»^(٣) الى عدم رضاه عن مقولاته السابقة، ويضيف ان الحياة الجنسية للولد تقترب الى حد ما من الحياة الجنسية للراشد، وان الاهتمام بالاعضاء التناسلية والنشاط التناسلي يكتسب أهمية فائقة تجعل الولد يقترب من البلوغ. ان فرويد يعطي، بهذا، للحياة الجنسية الطفلية تنظيمًا ليس متوقفاً على الحياة الجنسية للراشد. إن طابعه الاساسي الذي يفرقه عن التنظيم النهائي هو وجود عضو تناسلي واحد بالنسبة للجنسين، هو العضو الذكوري.

إنه فارق أساسي لأن الأولوية ليست للتناسلي وإنما للقضيب. بينما في المرحلة السابقة السادية - الشرجية كان التناقض بين الفاعل والمنفعل مسيطراً. هناك مذكر فعلاً ولكن لا وجود لمؤنث: إن التعارض يمكن صياغته على الشكل التالي: عضو ذكوري او مخصي. ان هذه المرحلة القضيبية تتعلق بالجنسين معاً.

وهذه المرحلة ذات أهمية حاسمة في بنية الجهاز النفسي، وبالتالي عند الكائن الصغير، صبيًا كان أم بنتاً. لأن فيها يبدأ فعل عقدة الخصي التي تحتل مكانة مركزية في النظريات الفرويدية، وهي لا تنفصل عن عقدة أوديب، وبالتالي عن القلق. وهكذا ان الـ «أوديب» بالنسبة لفرويد، أي الرغبة في امتلاك الأم (الزواج المحرم) وإزالة الأب (الاغتتيال)، هو في أساس قلق الخصي، لأن القضيب يتورط في الهوامات

الناشئة عن الرغبة الاوديبيية والمتجهة نحو الأم.

أ - المرحلة القضيبية عند الصبي:

ان الاولوية للقضييب هي على علاقة وثيقة بنرجسية الصبي الصغير، (وهي عبارة تعني السلوك الذي يعامل به شخص معين جسده كما يعامل عادة موضوعاً جنسياً - الحياة الجنسية). ان الموضوع الجنسي هو قسم من الجسد غني بالأحاسيس وهو يشغل بالضرورة اهتمام الصبي بحيث انه يستحيل عليه تصور شخص مماثل له دون أن يكون عنده هذا العضو الاساسي.

هذا الصبي يكتشف خلال تجاربه ان هناك كائنات لا تملك قضيباً: مشاهدة الأعضاء التناسلية لأخته الصغيرة مثلاً. ان رد فعله الأولي هو إنكار هذا النقص. فيعتقد بأن العضو التناسلي صغير جداً أو أنه سوف يكبر، أو يربطه بعامل خصي معين. وهكذا يعتبر نفسه معرضاً بدوره لمثل هذه العملية.

وحتى تبلغ عقدة النقص مداها وتأثيرها، يلاحظ فرويد ان الطفل يجب ان يكون قد تعرض لتهديدات حقيقية بالخصي توجعها الأم او إناث أخريات من محيطه. فعندما يتأكد من هذا النقص يصبح « بالامكان تصور ضياع قضيبه بالذات؛ عندها يتوصل التهديد بالخصي لأن يفعل فعله»⁽⁴⁾.

أما أوديب الصبي فيتلاشى أثناء هذا التهديد: إذا اتجه الصبي نحو أمه فإن الارضاء سوف يكلفه قضيبه. ينتج هكذا اهتمام نرجسي بهذا الجزء من الجسد، وشحن لبيدوي لأشياء الوالدين.

ب - المرحلة القضيبية عند البنت:

يتساءل فرويد اذا كان ممكناً ان تتسم البنت بتنظيم قضيبى وعقدة خصي. ويرد على هذا التساؤل بالاجاب مع الاشارة الى ان ذلك يبقى مختلفاً عند البنت. وقد أشار سابقاً الى ان المسألة تصبح غير مفهومة وأكثر غموضاً وتحتوي على ثغرات!

إن البنت الصغيرة تعتبر البظر كقضيب « قصير »، ولكن اذا أجرت المقارنة ترى فيه إجحافاً وسبباً للدونية، ولكنها تتعزى عن هذا النقص على أمل انها عندما تكبر سوف تحصل على زيادة مثل الصبي. وبما أنها لا تفهم بأن ذلك الامر طبيعة جنسية فهي تفسر هذا النقص بالخصي. وحتى انها تذهب للاعتقاد بأن النساء الراشحات، وهو ما يؤيد المرحلة القضيبية، يملكن عضواً ذكورياً... اذا استمرت الفتاة في هذا الاعتقاد، فإن صعوبات خطيرة سوف تنتظر حياتها الراشدة. إن الأمل بالحصول على القضيب قد يبقى حتى مرحلة متأخرة ويؤدي الى أفعال غريبة. (هنا تدخل عقدة الذكورة). رغم الذكورة المهدة فإن هوام كونها رجلاً يبقى مكوّناً لفترات طويلة من حياتها. عندها تتصرف وكأنها رجل. انها إحدى توجهات التطور الثلاثة. وهناك توجه آخر يجعل المرأة تتخلى عن الحياة الجنسية.

لكنها إذا « حكمت فوراً وقررت، رأت ذلك وعلمت أنها لا تملكه وتريد ان تحصل عليه »^(٥). إن « لرغبة القضيب » هذه نتائج معينة:

- حدوث شعور بالدونية، واعتبار ان المرأة ذات ندبة، وهي مع اعترافها بتفوق الرجل تعترف بجرحها النرجسي.

- الفيرة، وهو تحويل لرغبة القضيب.

- تراخي علاقة الحنان بالأم؛ لأن الأم تملك القضيب وهي قد خصت البنت.

ان التخلي عن القضيب لا يمتثل دون محاولة تعويض. « ان البنت، من خلال معادلة رمزية، تنزلق من القضيب الى الطفل »^(٦). فمع عقدة أوديب تبلغ رغبة الحصول على هدية من الأب على شكل طفل مداها الاقصى. ان رغبة امتلاك القضيب والولد تبقى مشحونة بشكل قوي في اللاوعي وهي التي تهيء الكائن الانثوي لدوره الجنسي المستقبلي؛ وهذا هو التوجه الثالث للتطور.

وهكذا فهناك فارق أساسي بين الصبي والبنت من ناحية عقدة الخصي: ان البنت تقبل الخصي كواقع، بينما الذي يسبب خوف الصبي هو امكانية حصوله.

ان عقدة أوديب عند البنت، هي على العكس نتيجة نهائية لتطور طويل، فهو لا يهدم بل ينشأ، بينما هو يختفي عند الصبي. ان عقدة أوديب لا تنتهي بالنسبة للبنت وعقدة الخصي لا تنتهي بالنسبة للصبي.

وهكذا نرى ان فرويد يعين للمرأة، انطلاقاً من معيار شراحي، حياة جنسية مشتقة. ولكن هل تنطبع الى الأبد بهذا الجرح؟ ألا يمكن التحدث عن حياة جنسية أنثوية خاصة؟ أليس من نتيجة إلا ما يقوله فرويد: « ان الفرق الشكلي يجب ان يظهر في فوارق التطور النفسي »^(٧). هل ان الشراحة هي فعلاً المصير؟

المدرسة الانكليزية: جنسان

سوف لا نتوسع في مقولات المدرسة الانكليزية، وإنما سوف نستعرض بعض أفكارها من خلال دراسة نقدية أجراها مصطفى صفوان M. Safouan و ج. لاکان J. Lacan. إنها رغم ثغراتها قد أعطت بعض الايضاحات المهمة، وكأن النظرية التحليلية لا يمكن ان تفعل دون ان تمر بمثل هذه الصعوبات.

وقائع، هوامات ورموز

ان الليبيدو (الفريزة الجنسية) بالنسبة لفرويد، هو نفسه عند الجنسين، انه ذو جوهر ذكوري. أما جونز Jones والمدرسة الانكليزية (كلاين M. Klein، هورني K. Horney، موللر J. Muller) فيعتبرون ان الليبيدو الانثوي هو خاص، فهو يمتاز عند البنت في داخل الجسد والمهبل.

وصفوان في مقاله عن « الحياة الجنسية الانثوية عند هورني »^(٨) يشير الى الالتباس عند الكاتبة

الانكليزية بين سجل المرئي وسجل المُتخَيَّل. إنها بطرحها الفوري ومجلها المسبق لإشكالية رغبة كل منها، تفكر بعبارات الازدواجية: المرأة والرجل.

بالنسبة لهورني، ان سهولة المهمة عند الرجل، وهو الذي يجعل المرأة غيورة، تأتي من «الرؤية المحتملة لعضوه». أما المرأة فتبقى بالنسبة للرجل ذلك السر الى الابد لأن أعضائها التناسلية محبأة.

من ناحية ثانية، ان الشعور بالدونية الذي تعاني منه البنت ليس أولياً البتة. وبعبارة أخرى، تعتبر البنت انها من الناحية الطبيعية مكونة بشكل أقل جودة من الصبي، فهي تشعر بالدونية. بالإضافة الى ذلك، تخضع البنت لقيود ثقافية تمنعها من الاستجابة لبعض الدوافع المهمة في المرحلة ما قبل التناسلية، بينما الصبي لا يجد أية صعوبة لإرضاء هذه الدوافع. انه إجحاف حقيقي بحق البنت لا يمكن تعويضه حتى بالامكانيات الابداعية مثل البلوغ.

بالنسبة لعقدة الخصى، تتكلم الكاتبة عن «أنوثة مجروحة»، فرغبة القضيب يجري تجاوزها بسهولة خلال التطور الجنسي للبنت، وذلك بفضل التامهي بالأم.

ولكن صفوان يشير الى أن الكاتبة لا تأخذ بالاعتبار التصور اللاواعي، ان عبارات الواقعية والرؤية تأتي لتغطي الدور البنائي للتصور اللاواعي. وهذا الدور يؤكد مونتريلي Montrelay^(٩). ان التصور الواعي للخصي عند الولد لا يدل أبداً على بتر حقيقي. انه بتر خيالي. فهو لا يصبح لا واعياً الا عندما «لا يؤدي الا الى الكلمات التي تكوّنونه. انه لا يهتم بالحقيقة، فهو لا يستند الا الى شكله»^(١٠)، (مع التأكيد على وزن الكلمات في تكوين اللاوعي).

أما جونس فهو يعترف بأن الرمزية التحليلية لا يمكن ادراكها الا باسنادها الى الواقع اللغوي للمجاز. لكنه لم يتوصل الى صياغة ما الذي يجعله التأويل التحليلي مؤكداً، أي أن علاقة الواقع بالفكر ليست علاقة المدلول بالدال بل العكس. يقول لاكان^(١١) ان جونس لم يبلغ هذه الوظيفة الحساسة جداً للرمز، ولا معناه التحليلي على انه نوع من تجدد الدال. انه إدراك علمي للواقع، ولكنه خطأ حول وظيفة اللغة.

وعندما يميز جونس غطين من تنظيم الليبيدو مستنداً الى الكتاب المقدس، معتبراً أن الله قد خلقها في البداية رجلاً وأمرأة، يرد عليه صفوان قائلاً: «بأنه فرض عليها بأن لا يعرفا شيئاً»^(١٢).

المدرسة اللاكانية: جنسان يتكلمان

ان الفضل يعود للاكان ومدرسة باريس الفرويدية لكونها قد أعادا تركيز صياغة المقولات الفرويدية. إن لاكان، برفضه التناقض المتبدل بين اللذة البظرية والارضاء المهبلية، وكذلك محاولة جونس لاعطاء الهمينة للطبيعي^(١٣)، يعطي مفهوم الخصى وظيفة مُبْنِيَّة في التطور النفسي. ان الأمر، بالنسبة للرجل كما بالنسبة للمرأة، يتعلق بارتقاء الفرد الى جنسه، إنه فرد متكلم في مقابل النظام الرمزي.

ان مقولة لاكان تؤدي بدورها الى اعادة تركيز المقولات الفرويدية: فالامر لم يعد يتعلق بالنسبة للولد بالتخلي عن رغبته المحرمة من أجل الحفاظ على قضيبه، ولكن بقبول خصيه. وهذا يعني التخلي عن الالتحام بما ينقص الأم، أي القضيب، من أجل إرضاء رغبته، ويصبح مخصياً من الأم بخضوعه لقانون الأب^(١٤).

ان لاكان يؤكد على الجدلية بين الكينونة والملكية: فعدم كونه قضيب الأم يسمح للولد بامتلاك القضيب. والمخصي من قبل الأم لا يؤدي فقط الى امتلاك لاحق، لنساء أخريات، بل وأيضاً الى النظام الرمزي، وبالتالي الى النظام الانساني.

الحصي الرمزي:

أ - معنى القضيب:

لقد كتب لاكان بأن القضيب ليس هوماً، ولا شيئاً، ولا مفهوماً، وهو أيضاً ليس العضو الذي يرمز اليه، القضيب أو البظر. «ان القضيب هو دال»^(١٥)، أي العصا التي تضرب المدلول. ان هذا يتناقض مع المفهوم اللغوي حيث يؤدي القضيب الى مدلول.

ان المدلول الذي يشغلنا هو اللاوعي، يسميه لاكان (الأخر) الذي هو «مكان الذاكرة التي اكتشفها فرويد تحت اسم اللاوعي، الذاكرة التي يعتبرها موضوعاً لسؤال يبقى مفتوحاً لأنه يشترط عدم امكانية تهديم بعض الرغبات»^(١٦).

ولكن اذا كان القضيب يضرب المدلول بالعصا، واذا كان هذا اللاوعي هو، تعريفاً، ما يقاوم ويلح ويقوم بجهود للانتقال الى الواقع، فكيف يتكلم اللاوعي؟ وما هو الموضوع الذي يفترضه؟

يتابع لاكان: ان اللاوعي يفتش عن ماهية الادراكات، أي ما هو في جذور مساره. وبعبارة أخرى، ان علاقة اللاوعي بالذي يفتش عنه، هو بالضبط ما ينقص غالباً. وكأن الدال يرمز الى الموضوع الناقص مع تصور نفسه وكأنه غياب هذا الموضوع، هكذا يرمز الـ «ذو» (Sujet) الى هذا الادراك الضائع^(١٧).

يمكننا القول من أجل فهم أفضل، أن دال اللاوعي هو الموضوع المحض، والمرض بمجد ذاته، هو ما يتمسك به الجسم. ولكن ليس من سبب لأي (ذو) كي يظهر في الواقع اذا لم يكن في هذا الواقع دال معين يجب كشفه؛ هذا يعني ان الدال لا معنى له وأنه لا يعني الا الـ «ذو» نفسه. هذا هو تماهي الـ «ذو». بدال ناقص و«ذو» ملغى.

ولكننا لا يمكننا ان نفهم هذا النسق الا اذا اعتبرنا بأنه كان هناك دالاً أول، أي فقدان الـ «ذو» للمرة الاولى.

ب - الحاجة والطلب

إذا كان تطور أوديب البنيت يكمن في توجه رغبتها نحو موضوع جنس آخر غير جنس الأم، فكيف يجري هذا التوجه؟ وكيف تنشأ الرغبة الانثوية؟

ان مصطفى صفوان يستعيد سؤال فرويد ويعيد طرح السؤال حسب المقولات اللاكانية: «ماذا تطلب البنيت الصغيرة من أمها؟»^(١٨) ان البنيت تطلب منها ان تغذيها وتفسحها، أن تكون لها وأن تلي كل طلباتها على أنواعها. هذا الطلب يجري على صعيدين: صعيد تكون فيه المطالب مصرحاً بها فعلاً، وصعيد المطالب المطلق الذي يتعدى هذه المطالب الملموسة. لماذا هذان الصعيدان؟

ان هذا يعيدنا الى لاكان والى آثار الدال، فهو يقول ان هناك انحرافاً في حاجات الانسان لأنه يتكلم بسبب وجود القضيب، فالمطلب يتناول شيئاً آخر غير الارضاءات التي يشبعها. «أنه مطلب لغوي يحدث شرحاً في الرغبة، يأتي من كون المطالب يرتبط بالآخر، بمعنى ان هناك شيئاً منحرفاً يجعل موضوع المطالب غير متمكن من ارضاء الرغبة، وهنا يمكن القول ان الرغبة هي رغبة الآخر لأن الشرح فيها يحدث بدل الآخر الذي يتوجه اليه المطالب، وحيث تجد اللغة مكانها»^(١٩).

ج - الرغبة:

ان الرغبة هي ما يحدث كنتيجة للمطلب، فإذا كانت مُتَبَنِّئَةً كاللغة، فإن من جوهرها عدم ارضائها. لماذا لا ترضى؟

يقول صفوان^(٢٠) بأنه في البدء لا توجد وحدة، لا مع الأنا (لا يمكن فهم اللجوء الى موضوع غلمي (érotique))، ولا مع الموضوع (لأن هذا الموضوع يعتبر في النفسية وكأنه غلمي مجد ذاته، عندما لا يكون الارضاء الذي يجلبه إرضاء حاجة معينة).

(اننا نعلم بحسب فرويد، بالنسبة لاكتشاف الموضوع، ان النهدي هو الموضوع الأول، باعتباره ليس ملكاً للولد. أنه يضيئه عندما يلتقيه باعتباره انه ليس ملكاً له. ان اختيار موضوع الحب سوف ينسبني على علاقة الضياع هذه).

إذا لم تكن هناك وحدة، فلا يمكن أن يكون هناك ارضاء. فعدم الارضاء موجود لأن ايروس Eros (اللذة الجنسية) يسكن الجسد، وفرويد لا يعيده لا الى الموضوع، ولا الى حب الذات، بل الى عدم امكانية الفرد أن يكون موضوع حب لذاته. هنا نجد أساس الرغبة التي يبقى عدم إرضائها والجوهر بالذات.

د - ال «ذو» الملقى

إذا استعدنا تحليل صفوان، فإن البنيت تجاه المطالب تتكون وكأنها لا تعرف، لأنها لا تتحول الى

«أنا». وبما ان الطلب يأتي من الآخر - هنا هو الأم - فإنه يصاغ هكذا: «ماذا تريد؟» وهو يشبه صدى مطلبها الخاص: «ماذا أريد؟». فهذا الـ «أنت» تتجه إليها في عمق ارادتها الصافية. ان الـ «ذو» لا يعرف، انه هنا، في الآخر، إنه مفترض. فالجواب هو خارج الـ «ذو». يجب ان يطرح السؤال على الوجه التالي: ماذا تريد هي؟ أي أن يأتي هذا السؤال من الأب الى حد ما، من القضيب (الذي تحاول عبثاً البحث عنه في الواقع على غط الشيء)، من هذا النقص في الكينونة، من رغبتها بالأب. ما هو موضوع رغبة الأب؟ ان الأم هي التي تسبب هذه الرغبة.

«ان الانوثة الحقيقية ليست الا هذا التدامج للرغبة الذي تنجزه البنت بالحركة المزدوجة التي تطبع دخولها في الأوديبي: حركة تماهيا بالأم كراغبة وحركة التعرف على القضيب لدى الأب الحقيقي»^(٢١).
(يغلب عند البنت الوجه الذي يحرم من أي تماهٍ خيالي، بينها الصبي يبدو لنفسه «مُزَاجاً» مع الموضوع).
«في البداية لا يوجد الرجل والمرأة ولكن الجنس، هو أولاً قضية تماهٍ»^(٢٢).

اللاوعي الانثوي: كلام امرأة.

ان تجربة «ضياح» التصور النرجسي يجري التعبير عنها بعبارة فقدان القضيب. والبنت سوف تتوصل الى الحقيقة عاجلاً أم آجلاً. وهكذا يفرض الضياح نفسه بالنسبة لها وكأنه مكوّن للخصي، هذا التأكيد ضروري من أجل أخذ المكان في المساحة المتأزمة للكلام حيث تفتح الرغبة. ان المرحلة القضيبية، منذ بدء تفهقها، تدخل في سلسلة من تجارب الخسارة أو الانفصال أو العيب. ان مثل هذا الترتيب في التجربة، الذي تحده معطيات الشراحة، يهيء المرأة لملاقة مباشرة مع الخصي. انها تنخرط كلياً في عملية الكبت الاصيلي ولا تشحن عملية الكبت الثانوي الا قليلاً (هذا الكبت هو الكبت الحقيقي).

هناك اذن أولوية محددة للتصور اللاوعي يضعف أمامها التصور الواعي والجهاز المفهومي ويفقدان من هيبتها. فالكلمات بالنسبة لها تحتفظ بكل قيمتها الدلائلية اللاواعية وبقيمتها المتعنية، مما يشكل كلام امرأة؛ لكن المرأة تجد في هذه العلاقة المباشرة بالخصي سندا للتأهي الجنسي الذي يخصها بشكل لا واعٍ كامرأة.

أما كلام الرجل فينظم كرفض للخصي، وجهل للاوعي، ان الرجل القوي يحيا بوهم ثابت بأنه لن يخصى وأنه يملك القضيب، فيتوقف على أولوية التصورات الواعية، على القيمة الدلائلية للكلمات، وعلى تكوين أنظمة مفهومية مع الادعاء بأنه ينتج خطاباً عمومياً. ان الجنس هو اذن نمط للدخول في الحديث، انها ذاتية جذرية، لا وجود لحديث خالي من الجنس^(٢٣).

المتعة الانثوية:

«ان اللاوعي، يقول لاكان، هو ان الكائن يتمتع وهو يتكلم، ولا يريد ان يعرف أكثر من ذلك... لا يعرف أي شيء البتة»^(٢٤). ان المتعة هي بالضبط تقاطع الجنس بالكلام. اذا اعتبرت كنتيجة، فإنه لا يمكن

التصريح بها. انها تجد قوتها المادية في الظهور (الموضوع كسبب للرغبة). ان المتعة تتعلق بـ « ذو » معين، وتتلور عبر جسد، ولكنها لا تنشأ كخاصة للـ « ذو » أو كملكة^(٢٥).

ان المتعة تنشأ مع الجسد. وعلاقة المرأة بجسدها هي علاقة نرجسية وغلمية. فهي لا تتوصل لإجراء الفرق بين جسدها والجسد الذي كان أول موضوع للحب. هذا الجسد الذي تحب خسارته من أجل الترميز والذي يبدو في العلاج وكأنه « ثقب »، أو كأنه « فراغ »^(٢٦)، ليس الا دفاعاً لتجنب نقائص الخصي الرمزي.

وهكذا فإن عضو المرأة يقف عائقاً أمام الخصي والكبت، من هنا تهديد الرجل أمام « قول كل شيء » (الذي يتجاوز الكبت) عند المرأة. ان هذا التصريح بكل شيء يكلفها احتقار الرجل والرقابة الذكورية.

الا أن اللغة هي بالضبط جهازٌ ومِفْصَلُ المتعة. فلكي تحدث هذه المتعة يجب ان تمر عبر القول، القول المترابط باللغة، الذي يجري الخصي الرمزي. لذلك فإن القدرة على إحداث المتعة تتضمن إمكانية منع المتعة وستر الجنس واخفاء الفرق. وهكذا فإن الأب يعلم ابنته كيف تقدر لكي تستطيع ان تصبح امرأة. فالمرأة تحتاج اذن الى غطاء الرجل للعلاقة الجنسية ويمكنها بلوغ الرمزي.

إن ما دعي بـ « القارة السوداء » هو حسب ما يؤكد مونترلي Montrelay أكثر من ذلك لأنه لم يكتشف ولا يمكن اكتشافه. ان الحديث في علاجات النساء يجري بشكل مباشر وفوري، مما يجعل الحياة ظاهرة. ان الكلام ليس الا امتداداً للجسد. كل شيء ظاهر ولا شيء كامن. ان الانوثة تفشل التأويل بمعنى انها تتجاهل الكبت، وبعبارة اخرى، لا تسمح بالخصي الرمزي. وذلك لأن الكبت يفترض ترميزاً مُبْنِيّاً اقتصادياً.

وهكذا يمكننا توضيح ما يقوله صفوان عندما يلاحظ ان اللاوعي هو أقل ارتباطاً بجسد المرأة او أكثر ضغطاً على جسدها؛ وهذا ما يفسر بعض « المنافذ الحدسية » التي يقوم بها المحللون الرجال بصعوبة أكبر (ان من الصفات الانثوية ان تكون أكثر ادراكاً للموضوع)^(٢٧).

أما بالنسبة لمثال الأنا، فإن البنت تعرف أيضاً خطر الخصي، ولكنها مطمئنة الى هذا المكان. انها تهديء هذا الخوف لأنه في النهاية لا يزعجها في إحدى الوظائف الحقيقية. (ان هذا جواب على المدرسة الانكليزية وتقييم بين المرئي والحقيقي)^(٢٨).

اننا نفهم لماذا يكبت الصبي ولماذا هو أكثر حساسية لتهديدات الخصي وأكثر استعداداً للاستمناء. مع إجراء التمييز بين الكبت والرقابة لأن الأول له قيمة الفعل، والثانية خاضعة، فإن ما لا يقال عند المرأة ينشأ كأثر لغياب التصور، ومن هنا لا يمكن تأويله، انه قارة مغلقة جداً، معزولة عن الرمزية^(٢٩).

في ما يتعدى القضيب

« انها لمتعة يشعرون بها ولا يعرفون عنها شيئاً »^(٣٠) يقول لكان عن متعة المتصوفات. اذن متعة

اللاوعي التي تأتي من مكان الآخر من هذا الكائن الدال، التي لا يسببها أي موضوع للرغبة؛ هذا هو وجه الآخر الذي تتحمله المتعة الأثوية. انها متعة إضافية وسلعة من الدرجة الثانية. من يستطيع ان يشكك بالمانع الابوي؟ لأنها متعة لا تمر عبر خصي الأب.

(أ) بالنتيجة، ان اخضاع الحياة الجنسية الاثوية للجسم او للشراحة او للمورفولوجيا يعطينا حياة جنسية لا تركز فيها الا على الشفرات والنقائص والفراغ... ان الجهد المبذول لاستخراج خصوصية أو إيجابية معينة لهذه الحياة الجنسية يتعدى المعطيات الاساسية للاوعي. وفي المرحلة الثالثة قد نصل أخيراً الى المحاولة الفريدة وهي صدى كلام المرأة. ولكن، هنا أيضاً، إن الخصي والتماهي بالعضو الجنسي يجعلان من النظام الرمزي قضية انسانية مأساوية.

ان التوسع بمقولات مثل مقولات فروم E. Fromm أو رايش W. Reich أو غيرها هو أمر ضروري. ان دور المرأة ككائن في الجماعة او المجتمع او السياسة، وكذلك اثر الحياة الجنسية المنطلقة في التحرر، قد تركا تأثيراً مهماً على الفكر الحديث. ولكن الى اي حد لا تبقى هذه الخطوات خاضعة لنموذج أناسي؛ اي أنها لا تزال تستند الى الجسم والتاريخ، والى تطور انسانية او ثقافة. انها لأسئلة تتركها دون اجابة، ولكننا نصوغها على شكل فرضية.

(ب) وعلى سبيل الخلاصة، ان الهدف الأول من المقترحات التي قدّمناها هو بناء مخطط لسيرورة المرأة (والذي نسميه شخصياً «سيرورة المرأة المجردة»).

هذه السيرورة للمرأة نستخرجها من مقولات دولوز Deleuze. فمن فلسفة دولوز كما من ممارساته ما يرغمننا على نسيان ما هو مترسخ فينا، او على «العمل معه». ولكن اذا نظرنا الى بناء الحياة فإننا قد نشك بأن التفكير قد يعني شيئاً آخر غير العيش، وأن الفلسفة أيضاً يمكنها ان تتحقق!

لنبدأ بالتذكير ببعض الافكار الرئيسية في كتاب AntiOedipe (ضد الأوديب):

- ان الحياة الجنسية ليست مستقلة عن الآلية الاجتماعية او عن الآلية الجماعية. فالقسم الاول من الكتاب (Psychanalyse et Familialisme) ينتقد التحليل النفسي، والقسم الثاني يعطي فكرة عن الجنس الذي لا يعني ان يكون اناسياً. ان فكرة الجنس الواحد او الجنسين، هي «فكرة غريبة تمر عبر الفرويدية، ان لا يكون هناك سوى جنس واحد هو الذكر، تحدد المرأة بالنسبة له كنقص... وبالنسبة للرجل، والرجل بدوره نقص لما ينقص المرأة... هذا يقود الى الفضيحة كموضوع للأعالي»⁽³¹⁾. من هنا فكرة التوصل الى الرغبة بواسطة الخصي. ان المدرسة الانكليزية لا تخرج عن هذه الفكرة لأن الخصي بدل ان يكون مبدأ كما

في الحالة الاولى، يصبح نتيجة.

- ان اللاوعي الجزئي يجهل الخصي لأن الاشياء الجزئية لا ينقصها شيء وهي تشكل تمديدات حرة. ان وحدة الشيء ووحدة الاجساد تقابلها عبارة التمديدات. انه لا وعي جزئي لأن القطع لا ينفك ينتج سيلاً بدل ان يكتبه. هناك نطفة من رغبة الانتاء للجنس الآخر transexualité تجعل المرأة تحتوي على جانب من الرجل لا يزيد عما يحتويه الرجل، ولا على ما يحتويه الرجل من المرأة، وهذا يجعل هذه الجوانب تدخل في علاقات انتاج للرغبة التي تقلب النظام الاحصائي للجنس.

ان اللاوعي الجزئي هو من الفيزياء. وفي اللاوعي ليس الا أناس وجماعات وآلات. آلات راغبة. فالآلة والرغبة تبقيان في علاقة خارجية، إما ان تبدو الرغبة كنتيجة محددة بنظام من الاسباب الآلية، وإما ان تكون الآلة نفسها نظاماً وتحرك اذن مقترنة بأهداف الرغبة.

- ان الرغبة لا ينقصها شيء. فهي انتاج اللاوعي الجزئي الذي يطرح على صعيد التلازم، انه صعيد يبنى (على عكس صعيد التعالي. أي التطور في الاعماق المفترضة للطبيعة، او تنظيم السلطة الاجتماعية) حيث يوجد توزيع للمؤثرات بمعزل عن الشكل الذي يطره او الـ «ذو» او الطبع.

- ان التحليل الفصامي Schizo-analyse هو تحليل الاجناس المتمدة للفرد، فيما يتمدى التصور الاناسي الذي يفرضه عليه المجتمع ويعطيه هو من حياته الجنسية الخاصة. ان صيغة الثورة الراغبة قد تكون: لكل حسب أجناسه.

ان دولوز G. Deleuze و غتاري F. Guattari بينان كتابها الثاني «Mille Plateaux» بالاتجاه نفسه. انه صعيد يعين «منطقة مستمرة من القوى» (ملحق الكتاب).

صيورة المرأة: بين صيורות الآخرين

«ذكريات الجزئية»^(٣٧)

ليس المستقبل تقليد شيء ما او شخص ما، وليس أيضاً التاهي به، ولا اقامة علاقات شكلية معه. انه لا يفترض أية صورة للمقاربة، ولا تقليد فرد معين. ان الصيرورة هي استخراج جزئيات انطلاقاً من الاشكال التي بين أيدينا ومن الـ «ذو» الذي نكوّنه، ومن الاعضاء التي نملكها أو من الوظائف التي نقوم بها؛ بين هذه الجزئيات نقيم علاقات من الحركة والسكون، من السرعة والبطء أقرب ما يكون مما نصيره، والتي بواسطتها نحقق صيورتنا.

هذا المعنى تصبح الصيرورة نفس الرغبة. فهي تدل على منطقة من التجاوز او الحضور المشترك للجزئية. هذا التجاوز هو مفهوم طوبولوجي وكوانتي الذي يطبع الانتاء الى نفس الجزئية، بمعزل عن الافراد المعينين والاشكال المحددة. ان الامر يقتضي التوحد مع شيء ما.

هناك سياسة جزيئية للمرأة. هناك صيرورة - ولد، صيرورة - امرأة، لا تشبهان المرأة ولا الولد ككيانين كمثليين متميزين. ان ما ندعوه كياناً كتلياً (molaire) هنا هو «المرأة باعتبارها محددة بشكلها ومتمتعة بأعضاء ووظائف ومعينة كأنها: ذو» (٣٣). ولكننا رأينا سابقاً ان الصيرورة ليست محاكاة ولا تماهياً، بل هي تحول.

ان الامر يتعلق هنا بنشر الجزيئات التي تدخل في علاقة الحركة والسكون، او في منطقة تجاوز الانوثة المصغرة، اي ان تخلق فينا امرأة جزيئية، او تخلق المرأة الجزيئية بالطلق. ان المرأة ككيان كتلي عليها ان تصبح امرأة لكي يستطيع الرجل ان يصبح كذلك هو أيضاً.

ان دولوز وغتاري يفترضان وجود سياسة كتلية معينة تقترن بتحقيق النساء لجسمن وتاريخهن الخاص، انها الذاتية بعينها. الا ان الانكباب على مثل هذا الموضوع يتضمن خطورة جمة.

ويجب ان لا نبحث عن أسلوب نسائي خاص، بل يجب ان ينتج الاسلوب صيرورة المرأة، كما تستطيع ذرات الانوثة التأثير في حقل اجتماعي واسع وتلويث الرجال وأخذهم في هذه الصيرورة.

ليست المسألة مسألة جسم، بل مسألة جسد. هذا الجسد الذي يسرقونه منا لصنع أجسام متعارضة. انهم يسرقون هذا الجسد من البنت قبل غيرها من أجل أن يفرضوا عليها تاريخاً أو ما قبل التاريخ. ودور الصبي يأتي فيما بعد. ان البنت هي الضحية الاولى، وعليها ان تكون المثل والشرك. «ان الصيرورة هي ضد الذاكرة بشكل خاص» (٣٤).

من أجل ذلك فان إعادة تكوين الجسد، كجسد دون أعضاء، لا يمكن فصلها عن صيرورة المرأة. ان الجسد دون أعضاء، وهو تعبير لآرتو A. Artaud، ليس فكرة ولا مفهوماً، بل هو ممارسة، او مجموعة من الممارسات. لم نصل بعد الى هذا الجسد، ولا نزال نحاول بلوغه، انه الحد الفاصل. فهو يبدأ طريقه عندما نجد الاعضاء ثم يفترض تنظيمها. ان الرغبة تنشأ عندما يبدأ تكوين جسد دون أعضاء (٣٥).

وهكذا فالفتاة لا تتحدد بمذريتها، ولكن بعلاقة من الحركة والسكون، من السرعة والبطء، وبمزيج من الذرات. هذا المزيج لا ينفك يركض وراء جسد بدون أعضاء. فهو خط مجرد او خط للهروب. فهو لا ينتمي لا الى عمر ولا الى جنس، لا الى نظام ولا الى عهد. فهو يزلق عبر كل هذا وينتج أجناً جزيئية بالنسبة للآلات الثنائية. ان السرعة والجسد الحر والقوى والخطوط المجردة هي انتاج جزيئي لا محدود. فمعرفة الشيخوخة ليست البقاء في سن الشباب، بل ان نستخرج من العمر الجزيئات والسرعة والبطء والدفق الذي يشكل شباب هذا العمر.

ان الحياة الجنسية تهدد الصيرورات المتعددة المتنوعة التي هي مجموعة لا حد لها من الاجناس، انها آلة حرب كاملة يمر عبرها الحب. ان الحياة الجنسية هي انتاج جنس كلها صيرورات لا يمكن مراقبتها: أي

اطلاق جزئيات. وهي أيضاً صيرورة لا يمكن تمييزها ولا إدراكها، مثل صيرورة العالم.
ان الصيرورة الجزئية هي بنوع خاص صيرورة كل العالم، ليس ذلك كمسألة أكثرية، ثابتة ومثالية، بل
صيرورة محتملة لكل فرد الى الحد الذي ينحرف به عن النموذج. ان النساء، مهما كان عددهن، يمكن تعريفهن
كمجموعات فرعية، ولكنهن لا يخلقن الصيرورة إلا بجعلها ممكنة، انهن لا يملكن هذه الصيرورة التي تخص
الانسان بجعله.

وان الغاء التشابه والمقاربة، يعني ان يصبح الامر غير قابل للادراك. فهو كالخط ينزلق بين الاشياء،
وكالعشب ينطلق من الوسط. نحن في تنظيم اجتماعي علينا ان نرى أولاً كيف يتراكم، ثم نقلب المرتبة بدقة
متناهية، ويربط الرغبات وبسيل من القوى... بهذا نكون قد أنشأنا آلتنا الصغيرة الخاصة التي يجب وصلها
بالآلة الشورية.

ونتوقف هنا لأن هناك الكثير الذي يمكن ان نقوله عن سحر الجزئيات...

الحواشي

- Luce IRIGARAY «Speculum» (ou de l'autre femme) – Minit-1974. - ١
FREUD S. «Trois essais sur la théorie de la sexualité». Idées. Gallimard, 1962. - ٢
FREUD S. «La vie sexuelle». P.U.F. 1969. - ٣
«La disparition du complexe d'oedipe» in «La vie sexuelle» p. 119. - ٤
L'Avie Sexuelle. p. 127. - ٥
op. cit. p. 122. - ٦
op. cit. p. 21 - ٧
«La sexualité féminine selon K. Horney» in «La sexualité féminine dans la doctrine freudienne». M. - ٨
Safouan. Seuil. Paris 1976.
«Recherches sur la féminité» in Critique no 278-Juillet 1970. - ٩
op. cit. p. 659. - ١٠
J. Lacan. «Les écrits». Seuil p. 707 à 717. - ١١
M. Safouan «La sexualité féminine dans la doctrine freudienne» Seuil-1976. p. 61. - ١٢
Propos directifs pour un congrès sur la sexualité féminine in. Les écrits p. 725 à 735. - ١٣
S. LECLAIRE. «On tue un enfant» – Seuil 1975. p. 151 - ١٤
«La signification du phallus» in «Les écrits» Seuil-1966. p. 690. - ١٥
Op. cit. p. 575. - ١٦
Séminaire inédit sur l'identification fait par J. Lacan. 1961-1962. et Scilicet 2/3 – Revue de l'école - ١٧

freudienne – «livage de sujet» – p. 110.	
M. SAFOUA. «La Sexualité féminine». Seuil. paris – 1976. p. 19.	- 18
«Pour une logique du fantasme» in Scilicet – No – 2/3 Seuil – 1970. p.270.	- 19
M. Safouan. «La Sexualité féminine» p. 150–151.	- 20
M. Safouan. «Sexualité féminine» p. 110.	- 21
M. Safouan. «Sexualité féminine» p.98 – 99.	- 22
S. LECLAIRE. «On tue un enfant, Seuil. 1975 p. 155 et sq.	- 23
J. Lacan «Encore» Séminaire Livre XX. Seuil. 1975. p. 95.	- 24
A. Verdiglione «La semblance» in Matière et pulsion de mort. Revue de psychanalyse Vol No 1/1975. (inédit).	- 25
M. Montrelay. «Recherche sur la féminité» in Critique no 278. Juillet. 1970.	- 26
M. Safouan. «Sexualité féminine». Seuil. 1976. p. 133.	- 27
M. Safouan. «Sexualité féminine». Seuil. 1976. p. 133.	- 28
cf. «Recherches sur la féminité» (article). M. Montrelay.	- 29
J. Lacan. «Encore». Séminaire livre XX. Seuil. 1975. p. 95.	- 30
G. Deleuze et F. Guattari–Capitalisme et schizophrénie. «L'Anti-Oedipe». Editions de Minuit. 1972.	- 31
G. Deleuze et F. Guattari «Mille Plateaux» Editions de Minuit. p. 333 et sq.)	- 32
Mille plateaux p. 337.	- 33
Ibid. p. 360.	- 34
G. Deleuze et F. Guattari – «Comment se faire un Corps sans organes, in. Minuit – No 10 Sept. 1974–p. 5.	- 35